الفصل الخامس عشر

اختيار صعب لبعض الطلاب: إما التفوّق في المدرسة اليوم أو الإعداد للنجاح مستقبلاً

«يتعيَّن على طلاّب المدرسة جميعهم بذل جهود كبيرة بانتظام؛ إذ لا يمكن لرياضيّ، مثلاً، أن يصبح بطلًا في مجاله مكتفيًا ببذل جهد متقطّع فقط».

جوليا ل. روبرتس، وجوليا روبرتس بوجس.

سؤال رئيس
• ما تعريفك الشّخصيّ للنّجاح الأكاديميّ؟

هل تتذكّر الدّعوة الّتي أطلقها فريدمان بخصوص تضافر الجهد المجتمعيّ الشّامل لنشر ثقافة الإنجاز والتَّميُّز. إنّ مثل هذا المجهود الوطنيّ يتطلّب من المعلِّمين وأولياء الأمور، والطلاّب الإجابة عن السّؤال الآتي: أيّهما أكثر أهمية: الحصول على تقدير (ممتاز) في الاختبارات كلّها اليوم، أم تحقيق النّجاح فيما يُتاح لك من فرص ووظائف بعد التّعليم الثّانويّ غدًا؟

إنّ وليّ الأمر أو المعلِّم الّذي يرغب في معرفة الأخطار المتوقّعة من جرّاء نيل الطَّالب تقدير (ممتاز) بسهولة، لا يستطيع ذلك تمامًا. وعلى الرّغم من أن مستقبل الطَّالب يظلّ، في نهاية المطاف، هو الأكثر أهمية من التّقدير المدرسيّ الّذي يُحرزِه، فإننا نجد كثيرًا من الآباء يدمِّرون مستقبل أبنائهم حين يعمدون إلى الشّكوى ومعاتبة المعلِّم بالقول: هذه أوّل مرة تمنح فيها ابنتي تقدير (جيّد) فقط!، أو: لا يملك ابني الوقت اللّازم لعمل الواجب، فهو

يواظب على ممارسة تدريبات كرة القدم، ويرتبط بأنشطة أخرى يمارسها بعد المدرسة؛ أي ما بعد الظهر من كلّ يوم. أعتقد أنّه يتعيَّن على أولياء الأمور أن يفكِّروا في نجاح أبنائهم أكاديميًّا مستقبلاً، وهم يفكّرون فيما يجب أن يؤكّدوا عليه لأبنائهم اليوم، وألّا ينسوا أنّ الرّسائل المباشرة، أو غير المباشرة ستكون ذات تأثير فاعل في الإعداد للنّجاح أكاديميًّا عندما تصبح الخبرات التَّعلُّميّة أكثر صعوبة.

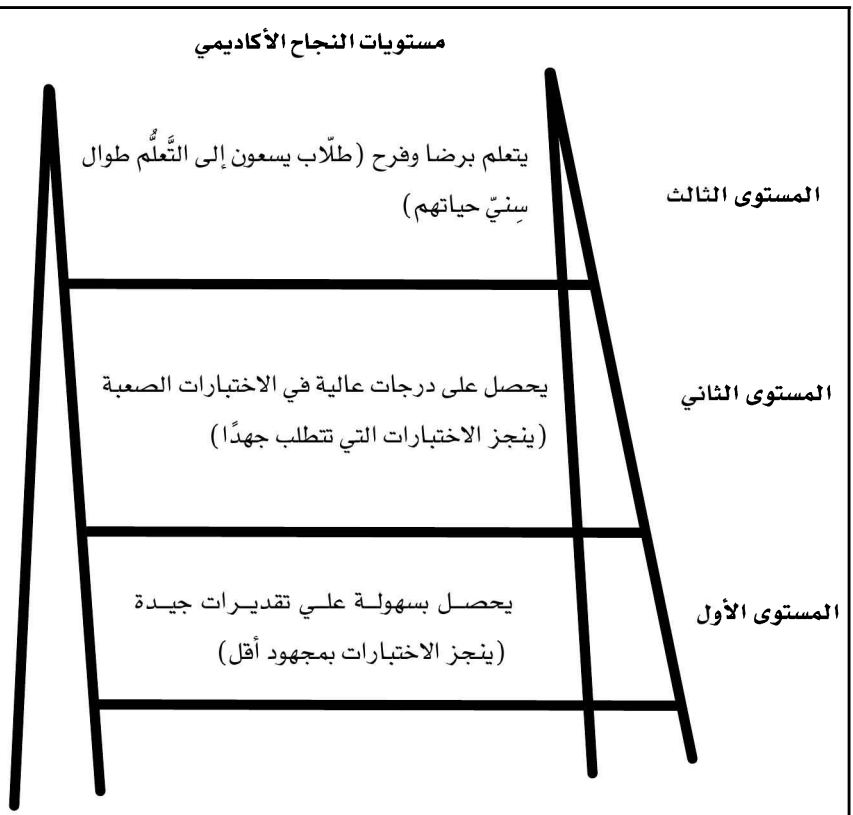

الشّكل 16: مستويات النّجاح الأكاديميّ مأخوذ من إستراتيجيّات التّعليم المتمايز: أفضل الممارسات لغرفة الصّفّ – Strategies for Differentiating Instruction: Best Practices for the Class–room (2nd ed.), by J. L. Roberts and T. F. Inman, 2009, p. 66, Waco, TX: Pru–frock Press. Copyright 2009 Prufrock Press. أعيد نشره بإذن.

ما المقصود بالنّجاح الأكاديميّ؟

تتمثَّل إحدى أكبر مشكلات الطلّاب الموهوبين والنّابغين في أنّ المربّين وأولياء الأمور يربطون التَّميُّز بالحصول على تقدير ممتاز أو درجة كاملة؛ 100. وما لم يبذل الطّفل جهدًا مضنيًا للحصول على ذلك (أو قريبًا منهما) فإنّ ذلك لا يعني السّعي إلى التَّميُّز، أما ما يحصل عليه من تقدير فهو مقابل الجهد القليل أو عدم بذل أيّ جهد. لكنّ الصحيح هو أن التَّعلُّم يجب أن يكون الهدف من ارتياد المدرسة وصولًا إلى الهدف النهائيّ؛ وهو إعداد متعلِّم مدى الحياة.

يُظهِر الشّكل 16 مستويات التَّعلُّم. وفيه، يُعَدّ المستوى الأدنى مكانًا خطرًا لا ينبغي للطّالب أن يمكث فيه مدّة طويلة؛ لأنه سيعتاد العمل (السّهل) الّذي يمكن إنجازه بسرعة. ولن يمضي وقت طويل حتى يعتاد الطَّالب توقّع الأعمال السّهلة، وعندما تبدأ الواجبات الّتي تحتاج إلى وقت وتفكير أكثر، سنجد أنّ كثيرًا من الطلّاب الموهوبين قد بدؤوا يشكّون في قدراتهم على حلّ هذه الواجبات. حينئذٍ، سيكون ضعف التّحصيل هو النتيجة المتوقّعة، حيث يصعب تحويله إلى نجاح. لذا، لا يمكن مساواة التَّميُّز بتقدير ممتاز، إلّا إذا اجتهد الطّفل في الحصول عليه حقًّا.

ولكن، ما تعريفك للنّجاح أكاديميًّا؟ إنّ إجابتك عن هذا السّؤال هي الّتي تحدِّد اتجاهك نحو التّدريس بوجه عام، ونحو تمايز المنهاج خصوصًا.

هناك سؤال آخر مهم، هو: هل يمكن الجمع بين المساواة والتَّميُّز؟ إذا لم تنظر إلى المساواة على أنها تأدية الأفراد جميعهم للعمل ذاته، ولكن على أنّها تحقيق كلّ طالب لتقدم مستمرّ، فحينها يكون التَّميُّز هدفًا يمكن بلوغه.

قد يكتسب الأطفال توقعات وتصورات تساوي بين المدرسة والعمل (السّهل)، إذا لم يُطلب إليهم المشاركة في تعلُّم يتّسم بالتّحدي كلّ يوم. وأنّ أولياء الأمور الّذين ينبذون المعلِّم الّذي يُعِدّ خبرات تعلُّم تتّسم بالتّحدي، مفضِّلين نيل أبنائهم تقدير (ممتاز) بدلًا من تعلُّم ذي قيمة، يحصلون على ما يسعون إليه، وهو العمل السّهل لأبنائهم، وقد يقرِّر

المعلِّمون أنّ لا جدوى من تجاهل معارضة أولياء الأمور لما يخطّطون له من مهام وأنشطة أكثر تنافسيّة. فَمَن الخاسر إنْ حدث ذلك؟ إنّهم الأطفال دون شكّ؛ والبلاد ستخسر أيضًا، وفقًا لما يعتقد فريدمان.

التّحدي الأكاديميّ مفتاح النّجاح المستقبليّ

ما الّذي عليك معرفته؛ لتفهم السّبب في أنّ الجانب الأكاديميّ المتطوّر هو أساس النّجاح في الدِّراسة الجامعيّة بعد المرحلة الثّانويّة؟

1. يتعيَّن على المدارس توفير فرص تتّسم بالاستمراريّة لكلّ طالب؛ ليتمكّن من تحقيق تقدّم مستمرّ، ما يعني التّعليم على أساس منتظم؛ فالطَّالب الّذي يمكنه القراءة ضمن مستوى يفوق صفّه الدِّراسيّ، سيتمكَّن في نهاية السّنة المدرسيّة من القراءة ضمن مستوى أعلى. ويتعيَّن عليه تعلّم مستوى في الرّياضيّات أكثر تقدّمًا كلّ سنة، بصرف النّظر عن المنهج الدِّراسيّ الّذي يُدرَّس في الصّفّ. لذا، فإنّ فرض حدود معيّنة على ما يمكن للطّالب المميّز أن يتعلّمه في المدرسة، سيعيق تقدّمه الأكاديميّ، ويمهِّد الطّريق أمامه للفشل.
2. أظهرت التّقارير الأخيرة لاختبار الكُلِّيَّة الأمريكيّ-American College Terst ACT (Gewertz, 2010) أنّ 23% فقط من طلّاب الثّانويّة الّذين أدّوا هذا الاختبار السّنة الماضية، حصلوا على علامات تشير إلى (استعدادهم لدخول الجامعة) في مجالات المحتوى الأربعة كلّها الّتي شملها التَّقييم، وهي: الرّياضيّات، واللّغة الإنجليزيّة، والقراءة، والعلوم. وبذا، فإنّ وصول الشّاب إلى مرحلة الجامعة من دون استعداد مناسب يضعه في موقف صعب.
3. إنّ الطلّاب الّذين يجدون أنّ من السّهل الحصول على تقدير (ممتاز) يقعون فريسة شكل من أشكال ضعف التّحصيل الّذي يصعب تحويله إلى نجاح؛ إذ يُعَدّ ضعف التّحصيل مشكلة عامّة. (انظر الفصل الحادي والعشرين).

هل تعرف أيّ شخص تفوّق وهو مراهق من دون اتصافه بأخلاقيّات منضبطة للعمل لاسيّما في مجال خبرته؟ إنّ أخلاقيّات العمل تلك تتطوّر في سِنيّ الطّفل الأولى عادة.

أضف إلى ذلك أنّه من الصّعب، بل من المستحيل، أن تعمل بجدٍّ في عمل ما أتقنته حقًّا ضمن المستوى الّذي تُقدّم فيه الدّروس حاليًّا. لا شكّ في أنّ العمل المدرسيّ السّهل يحرم الطّفل من فرصة العمل بجدٍّ لإنجاز أهداف التّعليم الصّعبة والمتطوّرة. إنّ الطّالب لا يتعلّم الْجَلَدَ أو تحديد الأهداف المتقدّمة. لذا، كم يبدو من الأفضل للطّالب أن يلتحق بالجامعة، وهو يتمتع بإعداد قويّ مسبقًا في سعيه وراء تحقيق ما يأمل وليّ أمره أن يكون مهنة جامعية تتوّج بالتّخرّج؟

عوائق النّجاح الأكاديميّ

ما السّلوكات الّتي تُفضي إلى عوائق تحول دون استعداد الأطفال للنّجاح فيما بعد مرحلة التّعليم الثّانويّ؟ هذه بعض السّلوكات الّتي قد تدفع بالطّالب إلى الإخفاق في مرحلة ما بعد التّعليم الثّانويّ:

1. مسارعة الآباء إلى التّدخل في حال واجه الأبناء صعوبة داخل الصّفّ؛ مخافة ألّا يُحرزوا تقدير (ممتاز) على الدّوام.
2. افتقار المدارس إلى ممارسات التّعليم التّنافسيّ في الصّفوف كلّها، والمراحل التّعليميّة جميعًا؛ من الرّوضة إلى التّخرّج.
3. تجنُّب الطلّاب الصّفوف الّتي تتّسم بالصّرامة متى كانت متاحة.
4. عدم انتهاج الطلّاب أخلاقيّات عمل مخصوصة بالمجال الأكاديميّ؛ إما لافتقار الصّفوف إلى الصّرامة بتوانيها عن الطلب إلى الطلّاب العمل باجتهاد، وإمّا لعدم تخصيص الطّالب الوقت والطّاقة اللّازمين لاكتساب أخلاقيّات عمل فاعلة ومنضبطة.

يتعيَّن على الدّولة أن تنُظِّم حملات توعية عامة باستمرار؛ لحفز الآباء والمربّين إلى دعم الأطفال للعمل بجدٍّ؛ بغية تحقيق الأهداف التّنافسيّة للتّعليم الأكاديميّ، وتطوير مواهبهم، مُستخدِمةً بذلك شعارًا جاذبًا يمكنه إيصال رسالتها. أيضًا، يتعيَّن على المجلات المتخصّصة في أخبار المدارس أن تُقدِّم المعلومات اللّازمة لمساعدة الآباء على فهم الحاجة الملحّة لحفز أبنائهم إلى العمل بجدٍّ؛ بغية إنجاز الأهداف المهمّة للأعمال والمهام

المدرسيّة، إذ يُعَدّ ذلك السّبيل الوحيد المختصر لصرف أنظار الآباء عن التّشديد على المادة الدِّراسيّة للمستوى التّعليميّ بوصفها معيارًا لنجاح الأبناء أو إخفاقهم في هذا السّنّ. وعوضًا عن ذلك، فنحن في حاجة إلى التّشديد على إعداد (تخريج) أفراد يرغبون في التَّعلُّم مدى الحياة، ولديهم الاستعداد لحلّ المشكلات، واتخاذ القرارات الّتي تحقِّق الانضباط؛ فليس كلّ الحاصلين على تقدير (ممتاز) في اختبارات التّعليم قادرين على وضع الدّولة في مكانة يُمكِّنُها من المنافسة.

سؤالٌ مهمٌّ جدًّا

من الأسئلة المهمّة الّتي يتعيَّن طرحها على المربّين وأولياء الأمور لحفزهم إلى التَّفكير في السّبب الّذي يجعل من التّنافس الأكاديميّ عاملًا حاسمًا في إعداد طلّاب يتّصفون بحبّ التَّعلُّم مدى الحياة:

> هَبْ أنّ طالبًا في سِنيّه الخمس أو السّتّ الأولى بالمدرسة نال تقديرات جيّدة، وثناءً متكرِّرًا من دون بذل مجهود يُذكَر، فما الأشياء التي لم يتعلّمها في حين تعلّمها معظم زملائه الّذين وصلوا الصّفّ الثّالث؟

تمهَّل دقائق معدودات قبل الإجابة عن هذا السّؤال، ومن الأفضل أن تجتمع أنت وزملاء المهنة؛ لوضع تعميمات بعد المناقشة؛ لاستخلاص رأي موحَّد يتّفق عليه الجميع. هذا السّؤال، يدفع كثيرًا من المربّين والآباء إلى الاعتقاد بأنّ الأطفال الموهوبين يواجهون حقيقةً عوائق في أثناء تطوّرهم الاجتماعيّ والأكاديميّ، حين لا يكون التّحدي الأكاديميّ جزءًا منتظمًا من تعليمهم. بوجه عام، حين يكون التّعليم في المدرسة سهلًا، فإنّ بعض الصّفات المهمّة الّتي سيفتقدها الطَّالب تشمل: المرونة، والإصرار، والقدرة على حلّ المشكلات، وحُسْن التّعامل مع الإحباط (ذلك الإحباط الّذي قد يكون مردّه إحساس الطَّالب بالفشل عندما ينال تقدير (جيد) بدلًا من (ممتاز)، وكذلك القدرة على دراسة الموضوعات، وتختم هذه القائمة بعدم قدرة الطَّالب على تنمية أخلاقيّات العمل المنضبطة لديه؛ إذ ليس ممكنًا بناء أخلاقيّات منضبطة للعمل من دون إتاحة الفرص لتعليم يتضمّن التّحدي. وفي السّياق ذاته، يرى كثير من المربّين أنّ إتاحة الفرصة لمناقشة ما لم يتعلّمه الطلّاب سيجعلهم

يدركـون -أول مرّة- حجم الضّرر الّذي تعرّض له الطلّاب اللّامعون، في ظلّ غياب مثل تلك التّحديـات. وهـذا إدراك مهمّ من دون شـكّ، وهو يُعَدّ دافعًا للمعلّميـن للتّعرُّف إلى الطلّاب اللّامعين منذ اليوم الأوّل لهم في المدرسة. بعد أن اشتركت في مناقشة هذا السّؤال المهم، ضمِّن مقال (تريسي إنمان) جزء (أدوات الإنقاذ) المخصوص بهذا الفصل، الّذي يتحدث عمّا لم يتعلّمه الطلّاب.

أهمية المجهود والدّافعيّة

أبرزت ريس ورنزولي (Reis & Renzulli, 2009) أهمية المجهود والدّافعيّة، مضيفيْنِ علامـة تعجب إلى العنوان، في التّلخيص الّذي أَعدّاه لهذين المفهومين: المجهود والدّافعيّة مهمّان!.

> لا توجد ميزة غير معرفية تؤثّر في تحقيق مستويات أعلى من الأداء، مثل المجهود والدّافعيّة. وإضافـة إلى العوامـل المذكورة آنفًـا، فإنّ الأطفـال والمراهقين من ذوي القـدرات الفائقة يكونـون أكثر عرضة لعدم صقـل قدراتهم وتنميتها بسبب الخبرات التَّعلُّميّـة أو العمليّة الأقل تنافسيّـة. والواقع أنّ الطـلاب الموهوبين يذهبون إلى المدرسـة -غالبًا- من دون حاجة إلى زيـادة مجهودهـم، ولكنّهم حيـن يواجهون تحديًّا فعليًّـا، فإنّ بعضهم يعاني فقـدان الثّقة في قدراته؛ الأمر الّذي يؤدي إلى مستويات متدنّية من الإنجاز (Reis & McCoach, 2000).

صنّفـت خبيـرة علـم النّفـس الأمريكيّـة والباحثـة فـي الدّافعيّـة كارول دونـك (Carol Dweck, 2006) العقليّـة أو طريقـة التَّفكير إلى صنفين؛ أصحـاب العقليّة الثّابتة وأصحـاب عقليّـة النّموّ. فالطلّاب ذوو العقليّة الثّابتة يعتقـدون أنّ ذكاءهم يعني أنّهم ليسوا في حاجة إلّا إلى إظهار ذكائهم وإبرازه، على عكس أصحاب عقليّة النّموّ الّذين يدركون جيِّدًا حاجتهـم إلى العمل بجدٍّ لإحـراز أفضل النّتائج. وفي حال جانَبَهم النّجاح في شيء ما (مثل عـدم تأديتهم جيِّـدًا في امتحان ما) فإنّهـم يستنبطون ما عليهم فعلـه لتجنُّب ما حدث في المـرة السّالفة. واستنادًا إلى ذلك، يكون الناجحون دائمًا مـن ذوي عقليّة النّموّ. من ناحية أخـرى، إذا لاحظ طالب من ذوي الفكر الجامـد أنّ أداءه ضعيف في اختبار ما، فإنّه سيرى نفسـه أنّه ليس بذلك الذّكاء كما كان يعتقد. لذلك، فإنّ التّغذية الرّاجعة على أيّ مجهود له؛

سـواء بذله أم لم يبذله، يعزّز لديه الشّعـور بالمسؤوليّة. وعليه، فإنّ أيّ مجهود يبذله في أيّ مشـروع يصنع فارقًا هائلًا في تقييم المشروع. خلاصة القول: إنّ العقليّة أو طريقة التّفكير تتكوّن في المراحل المبكّرة من حياة الفرد، ولكن يمكن تغييرها في حال بذل جُهْد مضاعف.

الخلاصة

يتعيَّن على كلّ وليّ أمر أن يجيب عن هذا السّؤال المهم: ما الذي أعتقد أنّه يمثِّل نجاحًا علـى المستوى الأكاديمـيّ عند أبنائي؟ ولذلك، ينبغي للمربّين توعيـة أولياء الأمور بضرورة مراعـاة اكتساب أبنائهم الصِّغار الدّافعيّـة، والمهارات اللّازمة؛ ليصبحوا طلّاب علم مدى الحيـاة. وينبغـي للمربّين أيضًا تحدّي قـدرات الطلّاب كافة، وفيهم الموهوبـون والنّابغون؛ حتـى يعرفـوا كيف يبذلون الجهد فـي المجال الأكاديمـيّ. إنّ النّجاح فيمـا يتهيأ من فرص بعـد التّعليم الثّانويّ، وفـي الحياة العمليّة بعد ذلـك، يعتمد على أخلاقيّـات العمل الفاعلة، والمثابـرة، ومهـارات التَّعلُّم مدى الحياة. ويعتمـد النّجاح الأكاديميّ الحقيقـيّ على المرور بفرصة تعلّم لا يكون الطّفل متأكدًا من قدرته على إنجازها، لكنّه يحقق ذلك الهدف بالعمل الجاد.

نصائح من أجل البقاء:

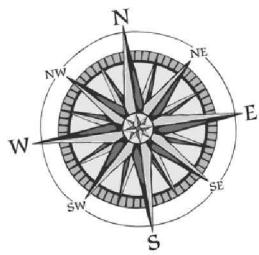

- ينبغـي للمربّيـن وأوليـاء الأمـور أن يدركـوا ما قـد يواجهه الأطفـال في حال كانوا غير مستعدّين للتّحديّات الأكاديميّة، فهـم في نهاية المطاف لا بُدّ مـن تعرّضهم لهذه التّحديات. وعندئذٍ، لن تشفع لهم العلامات العالية الّتي حصلوا عليها.
- قـد تكون هذه الرّسالة أكثر أهميّة من الرّسائل المخصوصة بأوليـاء الأمور كلّها، وهي: يتعيَّـن عليهم إدراك أنّ الحصول على علامـات عالية من دون وجـود تحدٍّ أكاديمـيّ حقيقيّ، يـؤدي إلى وجـود شباب غير مستعـد للنّجاح فيمـا يُتاح من فرص بعد مرحلة التّعليم الثّانويّ.

حقيبة أدوات المعلم للبقاء في الميدان

- أفضل مقاطع الفيديو تحفيزًا Best Motivation Video Ever

يتنـاول هذا الفلم حياة كثيـر من الأشخاص المعروفين، الّذين تغلّبـوا على إحباطات كبيرة عانوها من قبل. وهو يُعَدّ بحقّ بداية عظيمة لمناقشة هذا الموضوع مع الأطفال.

http://www.youtube.com/watch?v=Rmtxr7Ospjo&feature=related

- ما لا يتعلّمه الطّفل What a Child Doesn't Learn

كتبَـتْ تريسـي إنمان هذه المقالة في مجلـة التّحـدّي The Challenge، الّتي يصدرها مركـز دراسـات الموهوبين في جامعـة كنتاكي الغربيّـة. فيها، ترى إنمـان أنّ الأطفال المُميّزيـن الّذين يُتوقّع حصولهم على تقدير (ممتاز) بسهولـة، لا يتعلّمون الأخلاقيّات المنضبطة التي تتعلّق بالعمل، أو عملية إدارة الوقت، أو كيفية وضع الأهداف، ولا امتلاك المهارات الدِّراسيّة.

http://www.wku.edu/dept/support/acadaffairs/gifted/giftedsite/wordpress/wp-content/uploads/2010/07/challenge181.pdf